خصائص في العربية، وإيذانها بالزوال من لغتنا المعاصرة

فاروق مواسي

تلخيص:

تقف هذه الدراسة على بعض الخصائص التي كانت في لغتنا، ولم تعد اليوم حاجة هناك إلى أن نأتي على غرارها بما هو جديد من ألفاظ كألفاظها، أو تعابير تجري مجراها: الأضداد والمشترك والترادف والمثنيات التغليبية، والاشتقاق الكبير (القلب اللغوي)، فما عادت لغتنا تُدخل ألفاظًا معجمية نادرة الاستعمال، واختفت في الصحافة تعابير على نحو :

" ذر قرن الشمس " ، " أذنا عناق "... .

سأقف في دراستي أمام بعض الظواهر اللغوية مما ورد في العربية، حتى اعتبرها بعضهم خصائص، وسبيلي أن أؤكد على أنها ليست معتمدة في لغتنا الحديثة، بسبب اللبس فيها، وبالتالي فاللغة الحديثة تتطلع إلى دقة المؤدى وإلى الإبانة.

من المتفق عليه أن اللغة وعاء الفكر، وأنها تفي بالمرسَلة إذا كانت دقيقة المعنى ومحددة، وتعمد إلى التوصيل بالسرعة الممكنة.

وهذا القول لا ينفي لغة المجاز والاستعارة، وشحن الألفاظ بمدلولات جديدة، يكتشفها المتلقي بعد ترو، وفي كل اكتشاف متعة – متعة الوصول بعد معاينة ومتابعة وموازنة واستنتاج.

من الخصائص التي كانت في لغتنا، ولم تعد اليوم حاجة إلى أن نأتي على غرارها بما هو جديد من ألفاظ كألفاظها، أو تعابير تجري مجراها: الأضداد والمشترك والترادف والمثنيات التغليبية، والاشتقاق الكبير (القلب اللغوي)، وبعض التخصيصات لأصوات أو مساكن أو حركات أو ترتيبات أو توصيفات — كما وردت في كتب فقه اللغة.

ولعل الصحافة في مطلع القرن العشرين كانت سببًا في تيسير اللغة وفي توصيلها المباشر، فما عادت تُدخل ألفاظًا معجمية نادرة الاستعمال، بل كان همها أن تبلغ رسالة أكثر من أن تستعرض معرفة، واختفت في الصحافة تعابير على نحو: "ذر قرن الشمس"، "أذنا عناق" و "يداك أوكتا وفوك نفخ" .....

بالإضافة إلى ذلك تحددت النواحي الإعرابية بطريقة موحدة غالبًا، فلا نجد اليوم من يسوّغ إبقاء حالة المثنى على حالة إعرابية واحدة، أو من يبرر إعرابًا ما مستندًا على شاهد قاله شاعر جاهلي، على نحو:

إن أباها وأبا أباها   قد جاوزا في الأمر غايتاها

وما عاد الإتباع – أي أن تتبع اللفظة بأخرى على رويها ووزنها، على نحو (شيطان ليطان)، (حسن بسن)، (عطشان نطشان) دون أن يكون للثانية أصل في اللغة وبالمعنى نفسه.

كما لا نعمل اليوم بالخفض على الجوار، على نحو:

كأن ثبيرًا في عرانين وبله   كبيرُ أناس في بجادٍ مزمّلِ

وقد حكي عن العرب قولهم: جُحرُ ضبٍّ خربِ (جر "خرب" بمجاورة "ضب").[1]

كما لم نعد نستخدم لغة (أكلوني البراغيث) مع كثرة الشواهد فيها، وإجازة قبائل لاستخدامها.

ولا نستعمل اليوم أمر الواحد بلفظ أمر الاثنين، كأن تقول: (افعلا ذلك) وأنت تخاطب واحدًا [2]، وغير ذلك كثير.

وأهم من ذلك كله — لم نعد نستخدم ألفاظًا غريبة الوقع، نحو الجحنبارة، الجخجخة، الجُخذُب، الجرذباج والجَيهبوق،والجَحْمَرِش والجَحْنَش، وكلها تبدأ في الجيم، وقس على ذلك مع أحرف الهجاء الأخرى، مما نجد في المعاجم القديمة !

غير أنني سأقف هنا أمام بعض الظواهر اللغوية مما ورد في العربية، حتى اعتبرها بعضهم خصائص، وسبيلي أن أؤكد على أنها ليست معتمدة في لغتنا الحديثة، بسبب اللبس فيها، وبالتالي فاللغة الحديثة تتطلع إلى دقة المؤدى — كما ذكرت أعلاه.

وإليك بعض هذه الظواهر التي شاعت في كتب التراث اللغوية :

---

[1] – الزوزني. **شرح المعلقات السبع** . ص 54.

[2] – انظر مقالتي: " خطاب الواحد بخطاب الاثنيـــن "، **من أحشاء البحر**، مركز اللغة العربية، ط 2. دار الهدى، باقة الغربية — 2007، ص 66 – 73، وقد سبق نشرها في مجلة **الضاد**، (عمّان) — العدد 16 – 2004، ص 10– 12.

الأضداد:

الأضداد – مفردها (ضد)[3]، ولها في اللغة معنيان متقابلان متضادان: فهي تدل على المخالف، وتدل كذلك على النظير والمثل، ومن هنا اشتقوا اسمها.

وقد يكون لدلالة اللفظة في أصل الوضع معنى عام يشترك فيه الضدان، وقد يختلط على الواحد ذلك المعنى الجامع، فيظن ذلك من الأضداد، نحو (الصريم)، فأصل المعنى هو الصرم = القطع، فالليل هو الصريم لأنه ينصرم عن النهار، والنهار هو الصريم لأنه ينصرم عن الليل، وكذلك (الصارخ) الذي يعني المغيث والمستغيث، فكل منهما يصرخ، هذا بالإغاثة، وهذا بالاستغاثة، فأصلهما من باب واحد.[4]

قال أبو عبيد (ت. 1094 م) في " باب الأضداد " من كتاب **الغريب المصنف**:[5]

"سمعت أبا زيد الأنصاري يقول الناهل في كلام العرب: العطشان، والناهل: الذي شرب حتى روي، والسُّدْفة في لغة تميم هي الظلمة، وفي لغة قيس هي الضوء.... وكذلك تقول بنو عقيل (لَقت الشيء) أي كتبته، وسائر قيس يقولون — لقته: محوته "، و (سجد) عند طيئ تعني انتصب، وعند كثير من القبائل بمعنى انحنى ".

نفهم من هذا القول أن من أسباب نشوء الأضداد ما يعود إلى القبائل، وطريقة استخدامها للفظة. إذ عندما دونت الكلمات – التي جمعها الرواة من قبائل العرب – في معاجم لم يجدوا حرجًا في جعل الكلمة تعني الشيء ونقيضه.

وقد روي عن رجل من بني كلاب قال له الملك:

ثِب ! وكان يقصد في لهجته " اقعد ". فما كان من الرجل إلا أن طفر من حالق، فتكسر.[6]

وثمة مئات الألفاظ في كتب (الأضداد)، أذكر منها:

---

[3] – ويمكن أن تبقى على حالها بلفظة المفرد (مثل: فُلْك – بمعنى سفينة وسفن).

[4] – الأنباري. **كتاب الأضداد**، ص 80، 84.

[5] – نقلاً عن السيوطي: **المزهر في علوم اللغة**، ج 1، ص 389.

[6] – انظر مادة (وثب) في **لسان العرب**.

الجَوْن – وهو الأسود والأبيض، *الرجاء*– وهو الرغبة والخوف، *القشيب*– وهو الجديد والخلَق، *الظن* – وهو الشك واليقين، *السر*– وهو المخفي والمعلن، *وراء*– وهي خلف، وأمام،*القُرء*– هو الحيض والطهر، *خفي* البرق– ظهر واستتر، *شرى وباع:* تعني الواحدة معنى أختها..إلخ

ولنأخذ كلمة (جلل) كما وردت عند شاعرين لنرى هذا التضاد. فالأول وهو الحارث بن وعلة القضاعي يقول:

ولئن عفوتُ لأعفونْ جللا ولئن سطوتُ لأوهننْ عظمي

إنه هنا يصفح عن أمر جلل– أي عظيم، ذلك لأن الإنسان لا يفخر بصفحه عن ذنب يسير، وهو إن انتقم بطش حتى يوهن قوته .

والثاني هو امرؤ القيس إذ يقول:

بقتل بني أسَدٍ ربَّهم ألا كلُّ شيء سواه جللْ

ويقصد هنا بكلمة (جلل) المعنى – تافه، أو عديم القيمة، فكل شيء لا يستحق أن يُذكر بعد مصرع أبيه.

فـ (الجلل) إذن تعني العظيم، وتعني كذلك الحقير. [7]

ونستطيع أن نستشف سبب هذا الاختلاف من الفعل (جل)، إذ معناه أستن واحتنك. ومن هنا أخذت معنى الاحترام، لأن كبير السن محترم عادة، و (جل) معناها ضعف.... ومن هنا أخذت معنى الحقارة.

وكتب (الأضداد) للأنباري (ت. 1181م) والأصمعي (ت. 828م) والسجستاني (ت. 941م) والصغاني (ت. 1252م) تشير إلى النماذج الكثيرة جدًا في ذلك، ذكرت بعضها أعلاه. [8]

---

[7] – انظر: مادة (جلل) في **لسان العرب**، حيث يرد البيتان .

[8] – مما ورد في الأضداد ما انتقل بصورة مجازية، كإطلاق لفظ (البصير) على الأعمى، ويبدو لي أنه من قبيل التفاؤل. انظر: الأصمعي والسجستاني وابن السكيت . **ثلاثة كتب في الأضداد**، ص 225.

ومع اعتزازنا بجهد العرب في هذا الباب إلا أننا اليوم لا نستطيع أن نجاريهم، فنقدم لفظًا أنه يعني كذا في هذا السياق، ويعنى المعنى المخالف تمامًا في سياق آخر.[9] فاللغة في عصرنا تستلزم الدقة والإبانة، خاصة ونحن في عصر علمي يجعل للفظة مرسلة محددة الأداء والنتيجة في أي سياق إخباري تُذكر.

أقول هذا، ولا أنسى أن التراث الذي تركه لنا السلف فيه هذه الأضداد، وفيه هذه المغامرة اللغوية لمعرفة معنى (مولى) تمامًا مثلاً، ولا يستطيع أحد أن يلغي ما كان، فما كان له جماله ووقعه، وأثره، وفيه مقومات إبداعية لا ينكرها منكر.[10]

أما اليوم فإن الدقة تستلزم استخدام (شرى) بمعنى اقتنى، و(باع) بمعنى عرض بضاعته للبيع فاشتراها غيره، ولم يعد أحد يستخدم اللفظ (قشيب) مثلاً بمعنى الخلَق المهترئ، بل هو الجديد الجميل، وكذلك تحدد اليوم معنى (الظن)، (وراء)، (السر)، (خفي)، وغيرها .

مما تقدم يتبين لنا أن التضاد هو مشترك لفظي، ولكن ليس كل مشترك هو تضاد بالضرورة، فما هو المشترك ؟

الاشتراك:

ثمة ألفاظ واحدة لها دلالات مختلفة، فلفظة (العجوز) مثلاً ذكر لها الفيروز أبادي (ت. 1415م) في معجمه **القاموس المحيط** نحو سبعين معنى، مثل الإبرة والأرض والأرنب والأسد والبحر والبطل والبقرة والتاجر وغيرها.[11]

---

[9] – تعجب الخليل بن أحمد من مثل هذه الظاهرة، ففي مادة (شَعَب) قال: " هذا من عجائب الكلام، ووسع العربية أن يكون الشعب

تفرقًا، ويكون اجتماعًا، وقد نطق به الشعر " – انظر كتابه: **العين،** ج 1، ص 306.

[10] في هذا السياق نذكر أن الأنباري يدافع عن الأضداد بأن السياق يمنع اللبس ويوضح الغرض. انظر كتابه: **الأضداد،** ص 2.

[11] – انظر مادة (عجز) في **القاموس المحيط**، وانظر: مادة (خيل) في **لسان العرب** لابن منظور، وكيف أثبت قصيدة تنتهي قافيتها باللفظة نفسها، وفي كل بيت يكون لها معنى مغاير، نحو اللواء، الخيلاء، الشامة، العزب، الخلاء، أخو الأم، المنخوب الضعيف، نوع من البرود، السحاب.....

وقد أنكر أبو علي الفارسي (ت. 987) أن يكون الاشتراك مقصودًا في أصل الوضع، وعزا ذلك إلى تداخل اللغات، أو أن تكون اللفظة تستعمل بمعنى، ثم تستعار لشيء، فتكثر وتغلب، فتصير بمنزلة الأصل.[12]

وعلى غرار ذلك رأى ابن دُرُسْتَـويهِ (ت. 956م)[13] أن وضع أكثر من معنى للفظة الواحدة فيه عدم إبانة، بل تعمية وتغطية، " ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لِعِلل....وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين، أو لحذف أو اختصار وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان... ".[14]

ويرى النقاد المحدثون أن هناك تطورًا دلاليًا لحق المعنى الأول العام، فصرفه إلى معان أخرى تشترك في احتوائها على شيء من ذلك المعنى الشامل، وتختلف فيما بينها في معنى خاص.[15]

ومن أسباب المشترك أن اللفظة وردت بهذا المعنى في قبيلة ما، بينما وردت في قبيلة أخرى بمعنى آخر، فجاء الرواة وأثبتوا ما يرد في لغات القبائل دون أن يعيّنوا القبيلة التي كانت تستخدمها، وكأن ما نطقته قبيلة أصبح حكمًا لما ينطق به أبناء العربية عامة.

وقد يكون انتقال بعض الألفاظ من معنى إلى آخر مجازيًا، حتى يصبح المجاز لقوته اسمًا حقيقيًا، فالعين هي الباصرة، وأفضل الأشياء هو العين، والنقد من الذهب والفضة هو العين، ويبدو أن ثمة علاقة قوية بينها.

---

[12] – للتوسع في ذلك، انظر: آل ياسين، محمد. **الدراسات اللغوية عند العرب**، ص 417.

[13] – ورد في **المعجم المفصل** (ج1، ص 424) – الذي أعده ميشيل عاصي وإميل يعقوب أن ابن دُرُستويه أفرد كتابًا لتأييد دعواه هو: **إبطال الأضداد** (وهذا الكتاب مفقود، لكنهما أخذا عن **كتاب الأضداد** للأنباري). وبالطبع فهو ينطلق من رأي ألا يكون هناك معنيان، فتكون تعمية وتغطية ؛ وكما أشرت فإن الأضداد نوع من الاشتراك. ومع ذلك يعترف ابن درستويه أنه يرد في النادر، ولعـلـل. أما لفظ الاسم فقد ورد في مصادر أخرى بفتح الدال والراء = دَرَستويه، انظر: الحموي، ياقوت. **معجم الأدباء**، ج 1، ص 110.

[14] – السيوطي: **المزهر في علوم اللغة**، ج1، ص 385.

[15] – انظر: آل ياسين، محمد: **الدراسات اللغوية عند العرب**، ص 418؛ أنيس، إبراهيم: **من أسرار اللغة**، ص 41؛ وافي: **فقه اللغة**، ص 186.

ومع أن الاشتراك قائم في جميع لغات العالم، ولنأخذ مثلاً من الإنجليزية، فسنجد عشرات المعاني للفظة (record) أو لفظة (slug)[16]، إلا أن معظم الألفاظ المستجدة لديهم تحمل دلالة واحدة سائدة وواضحة.

ونحن في لغتنا المعاصرة لا يمكننا أن نجعل اللفظة الجديدة معماة أو فاقدة الإبانة، بل يجب أن تكون دقيقة، ودالة على شيء معين، فلا مجال لحذف أو اختصار أو لتداخل لهجات ولغات كما برر ذلك بعض العلماء، كما أننا لا نستطيع أن نعمد إلى تبريرات المحدثين في جعل لفظة معينة تحمل مدلولات متباينة حتى ولو كانت هناك علاقة مجازية وثيقة بالأصل.

الترادف:

وهو أن يكون للمعنى الواحد أو المسمى الواحد عدة ألفاظ، بحيث تدل على المعنى نفسه ؛ كالعسل والشهد والريّق والحميت....[17]

و هناك من رأى أن كل لفظ له دلالة مختلفة أو وصف مباين، ولو قليلاً [18].

ويروى أن أبا علي الفارسي قال: " كنت بمجلس سيف الدولة بحلب، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، ومنهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف خمسين اسمًا، فتبسم أبو علي، وقال: ما أحفظ إلا اسمًا واحدًا، وهو السيف. قال ابن خالويه، فأين المهند والصارم ووو، فقال أبو علي: هذه صفات ".[19]

---

[16] – لاحظ أننا إزاء اللفظة الغريبة نأمل عادة أن يكون المدلول واحدًا، فهذا هو الطبيعي، ومع ذلك وجدنا للفظة معاني كثيرة منها: الكسلان، البزاقة العريانة، شخص بطيء، عربة بطيئة، كتلة معدنية، رصاصة، قرص غير شرعي، جرعة من مسكر ... إلخ) انظر معنى slug في: البعلبكي، منير. **المورد** .

[17] – أورد السيوطي في **المزهر في علوم اللغة** ج 1، ص 407 نقلاً عن الفيروز أبادي في كتابه **ترقيق الأسل لتصفيق العسل** ثمانين اسمًا للعسل.

[18] – ذهب ابن فارس وثعلب وأبو علي الفارسي إلى أن الاسم واحد وما سواه صفات، أشاعها الاستعمال حتى حلت محل الاسم الأول في إطلاقها على المسمى. انظر: ابن فارس: **الصاحبي**، ص 96 ؛ السيوطي: **المزهر في علوم اللغة** ج1، ص 405.

[19] – السيوطي: **المزهر في علوم اللغة**، ج 1، ص 405.

إن المترادفات في اللفظة الواحدة قد تقل، أو تزيد فتصل إلى عدد كبير، وحكاية أبي العلاء المعري (ت. 1057م) تشير إلى اعتماد ذلك مجالاً للاعتداد بمعرفة العربية. وهي تروي أن أبا العلاء لما دخل على المرتضَى أبي القاسم عثر برَجل، فقال غاضبًا: من هذا الكلب ؟

فأجاب أبو العلاء وقد ثأر لكرامته:

" الكلب هو الذي لا يعرف للكلب سبعين اسمًا ".[20]

وقد روي أن ابن خالويه (ت. 980م) كان يحفظ للسيف سبعين اسمًا، ويجمع للأسد خمسمائة اسم، وللحية مائتين.[21]

ورغم أن هناك إمكانية إعمال المجاز في كثير من المترادفات، إلا أنه من الطبيعي في البيئة الواحدة أن تكون لفظة واحدة لمدلول واحد. وعلى ذلك يرى ابن جني أن هذه المترادفات من بيئات لغوية متعددة، ولا مانع بعدها — حسب قوله – من اتحاد الدلالة:

"كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هَـنّا ومن هَنّــا" [22].

ومن جهة أخرى يقول قطرب (ت. 821م):

"إنما أوقعت العرب اللفظين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في الكلام" [23].

أما **فقه اللغة** للثعالبي (ت. 1038م) ومن نحا نحوه، فإنه يركز على أشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها، وفي ذلك دلالة على أن اللفظة تختلف الواحدة عن مرادفتها، فحدج ورمق ولحظ ورنا وشفن.... كل لها مدلولها الخاص بها.[24]

---

[20] – ياقوت الحموي: **معجم الأدباء**، ج 3، ص 123. وجدير بالذكر أن المعاجم عادة لم تقف على التفريق بين اللفظة ومرادفتها، وإلا فما الفرق بين العلو والارتفاع، وبين الحيف والجور والظلم ؟ أقر واعترف، وفر وهرب، ولبث ومكث ؟

[21] – ابن فارس: **الصاحبي**، ص 43 – 44.

[22] – ابن جني: **الخصائص** ج 1، ص 374.

[23] – الأنباري: **الأضداد**، ص 234.

[24] – انظر مثلاً: الثعالبي. **فقه اللغة وأسرار العربية** . ص 146.

ومهما يكن فإن كثرة المترادفات لألفاظ لم نعد نستخدمها اليوم – تدعونا إلى أن نتوقف عن كثرة التسميات، فنعطي اسمًا واحدًا ودقيقًا لمدلول بعينه.

ولو استطاع الباحث اليوم أن يستمع إلى حديث كان يجري في قبيلة ما، فإنه لا بد إلا أن يسمع لغة محددة، واختيارًا واحدًا، ففي جملة على غرار: " حمل الشجاع سيفه، وقتل الحية والأسد " فإن استخدام كل لفظة في الجملة قد يكون مغايرًا في قبيلة أخرى، فهذه تستخدم هذه اللفظة دون تلك — الأمر الذي يمكن التصور أنه لم تكن هناك لغة واحدة موحدة تنطق بها القبائل العربية.[25]

المثنيات التغليبية:

أورد العرب صورة التثنية لكل اسم معرب، والشرط في المثنى أن يدل على اثنين اتفقا لفظًا ومعنى، وأن يكون صالحًا للتجريد من الزيادة، وعطف مفرده عليه،كأن نقول: الرجل والرجل. فالفعل (ثنى) يعني انعطف بعضه على بعض، فكأن المعنى: جزءان أعيد أو رد كل جزء إلى آخر.

ومع أن المثنى صعب أن نستخدمه في لغتنا المحكية بل والمعاصرة، فنلجأ أحيانًا إلى الجمع فكم بالحري إذا وردت صورة التثنية للتغليب[26] (أي ليس مفرد كل منهما كمفرد الآخر)، حيث وردت في لغة العرب سماعًا، فما قالت به العرب نعود إليه في النصوص لنفهم مقصوده.

وعودة إلى كتاب **المثنى** لابن السكيت (ت. 857م) أو **المزهر في علوم اللغة في علوم اللغة** للسيوطي[27] فإننا ستجد المثات والمئات على غرار: القرّتان، والأبيضان، والأصفران، والأحمران، والأصمعان، والأجوفان.....إلخ. (والشروح لكل منها ليست محددة وواحدة).

---

[25] – هذا الأمر طبيعي حتى في اللهجات العامية، ففي كل بيئة تختلف مثلاً الجملة التي يقولها طفل من بلدتي: " هسه مضيت السكّينة اللي حفيت، وركضت عند أمي عشان تشقح البطيخة "، فسنجد هذه الجملة الصغيرة تُنطق في مئات الاختلافات في بيئات مختلفة.

[26] – كانت العرب تغلّب: أ — الأقوى والأقدر — الأبوان ب — الأخف في النطق — العمران جـ – الأعظم في الاتساع — البحران . د — المذكر — القمران. انظر: عاصي، ميشيل ؛ يعقوب إميل. **المعجم المفصل في اللغة والأدب**. ج 1، ص 443.

[27] – السيوطي: **المزهر في علوم اللغة**، ج 2، ص 172.

وحتى أن هناك ما هو متفق عليه نحو (الأبوان)– بمعنى الأب والأم، ولكنه يكون غير دقيق في نحو: زار أبو عمر وأبو علي مديرَ المعهد، وتحدث الأبوان عن كذا وكذا. ومثلها الحديث عن العمرين، فقد يكون الثاني عمر بن عبد العزيز وليس أبا بكر، والحسَنين، فربما اثنان اسم كل منهما حسن، وليس بينهما حسين.

من هنا كانت ضرورة ألا يكون هناك لبس في استخدام صورة التثنية للتغليب.

أما أن نثني (محمد) و (محمد) = محمدان — مثلاً، فهذا ممكن بسبب تلازمهما، أو اشتراكهما في أمر ما، وقد يكون السبب مجرد الاسم فقط.

ومع أن هناك تثنيات ألفناها وعرفناها، نحو: الدارين والحرمين، والصحيحين، إلا أن هناك تثنيات شائعة لا نعرفها إلا من خلال المصادر كالجديدين والأصغرين، والخافقين، والثقلين[28].

أخلص إلى القول – إننا اليوم لا نستخدم المثنى التغليبي في لغتنا الحديثة، ولا نؤلف على غراره، بل لا نجدد لفظًا جديدًا فيه، وذلك بسبب بحثنا عن الوضوح والتوصيل للمتلقي .

الاشتقاق الكبير (القلب اللغوي):

الاشتقاق معنًى – هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيبًا، ومغايرتهما في الصيغة، فاللفظة الجديدة تدل على الأولى بزيادة مفيدة.[29]

وظاهرة الاشتقاق العام ظاهرة صحية، كأسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة وأسماء المبالغة وأسماء الزمان والمكان، وأسماء الآلة، واشتقاق الفعل من الاسم، واشتقاقات مختلفة أخرى كأنواع المصادر والأفعال ماضية ومضارعة وأمرًا إلخ، وحتى لو استخدمت لفظًا جديدًا

---

[28] – من مثنيات (الليل والنهار) مما جمعته من المعاجم ومن كتب اللغة: المَلْوان، الأجدان، ابنا سمير، الدائبان، الرِّدفان، الصِّرْفان، الصَّرَعان، الأثرمان، الفَتَيان، الخابلان، الحدّثان، الحرسان، الحَبلان. فمن منا يستخدم هذه الألفاظ في يومنا ؟ ثم إن هناك إشكال تغيير الدلالة، فالصِّرفان التي ذكرتها قد وردت أيضًا بمعنى النحاس والرصاص، والحدثان تعني أيضًا مصائب الدهر، ولا شك أن للردفين معنى آخر. انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. مادتي (صرف)، (ردف).

[29] – السيوطي. **المزهر في علوم اللغة**، ج 1، ص 346.

لمعنى ما فلا غضاضة في ذلك، بل هو إثراء للغة، خاصة إذا ورد ذلك في كتابات الأدباء المميزين، حيث يضفي عليه شرعية معينة.

فالتجديد في الاشتقاق وفي النحت ضرورة هامة لتطوير اللغة حتى تلحق باللغات الحديثة طواعية ومرونة.

أما الاشتقاق الكبير الذي لا نعمل به فهو ما يسميه ابن جني (ت. 1002م) "الاشتقاق الأكبر"، وهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدًا[30]، بينما يرى الزمخشري (ت. 1144م) أنه يعني اتفاق الألفاظ في حرفين، واختلافهما في الثالث، نحو: الرَّمس، والدَّمس، والنمس، والطمس، والغمس، وهي جميعًا تعني الكتمان.[31]

وسواء أكان هذا الاشتقاق كما هو لدى ابن جني أو لدى الزمخشري فإن هذا الإجراء ليس قائمًا اليوم، ولا يتاح لنا أصلاً أن ننحو نحوه، وقد فطن ابن فارس إلى عدم القياس على ذلك، إذ يقول:

" وليس لنا اليوم أن نخترع أو نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياسًا لم يقيسوه، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها ".[32]

التخصيصات:

لا شك أننا ألفنا أن نطلق تخصيصات لمساكن بعض الحيوانات أو لأصواتها أو لأبنائها، وقد وردت في كتب فقه اللغة،ولكن هناك تخصيصات أخرى نحن في غنى عنها، فما هي حاجتنا لاستخدام (الصَّئِي) مثلاً للتعبير عن صوت كل من الفيل و العقرب و الفأرة و الخنزير واليربوع؟ وهل نستخدم ألفاظًا تتعلق بلباس المرأة كالدرع والإتب والقرقر والقرقل والشوذر، الرُّفاعة والعُظمة؟ وما حاجتنا إلى ترتيب سن البعير مثلاً أو سن البقرة الوحشية أو الأهلية؟

---

[30] – لتوضيح ذلك انظر: ابن جني: **الخصائص،** ج2، ص 134.

[31] – الزمخشري: **الفائق،** ج 1، ص 508.

[32] – ابن فارس: **الصاحبي**، ص 33. ولكن ابن فارس يشير بذلك إلى كل تجديد في الاشتقاق – الأمر الذي لا نوافق عليه في الاشتقاق العام أو العادي، فاللغة تحتاج إلى اشتقاق لفظ لم يكن موجودًا، وذلك بسبب التطور، ثم إن المشتقات لم تتولد في فترة واحدة، وكأنها منزّلة، فقد جرى عليها تغيير وتطوير. أما السيوطي فأشار إلى عدم صحة القياس على الاشتقاق الأكبر فقط. (السيوطي: **المزهر في علوم اللغة** ج 1، ص 347.)

أو ما حاجتنا إلى تفصيل أوصاف الجبان مثلاً؟ ألا يكفينا من العديد منها (رعديد، وهيابة)؟[33]

تبقى التخصيصات في مذخورنا اللغوي، يقبل عليها المختصون والدارسون، وحتمًا سيجدون فيها الثقافة والمتعة والغَناء.

ولكن، من جهة أولى، أرى أننا بحاجة اليوم إلى ألفاظ حية معاصرة، وإلى أنواع من التسميات لمصابيح مختلفة مثلاً أو لألبسة متعددة، أو لأنواع من الآلات والأدوات المتخصصة بمهن أو بوظائف معينة، وإلى حركية لغوية فعالة سلسة ومرنة، عندها تظل شجرة اللغة العربية حية، ولا غضاضة إن سقطت أوراق عنها، أو ذبلت بعض الغصون، فلا بد إلا أن تورق أغصان وأوراق جديدة ناضرة.

ببليوغرافيا:

ابن أحمد، الخليل. **العين.** ج1، بغداد: مطبعة العاني، 1967.

الأصمعي، السجستاني، ابن السكيت. **ثلاثة كتب في الأضداد.** بيروت: دار المشرق، د. ت.

الأنباري، محمد بن القاسم. **كتاب الأضداد**. تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية، 1987.

ابن جنّـــي، عثمان. **الخصائص** (ثلاثة أجزاء). القاهرة: دار الكتب، 1952.

ابن فارس، أحمد. **الصاحبي في فقه اللغة**. تحقيق مصطفى الشويمي. بيروت، مؤسسة بدران، 1964.

ابن منظور محمد بن مكرَّم. **لسان العرب.** بيروت: دار صادر ودار بيروت، 1955.

آل ياسين، محمد. **الدراسات اللغوية عند العرب** . بيروت. منشورات دار مكتبة الحياة، 1980.

أنيس، إبراهيم. **من أسرار اللغة.** القاهرة: المطبعة الفنية، 1966.

---

[33] – وخلاف ذلك الشجاع، فقد أورد الثعالبي فصلاً في ترتيب الشجاعة: رجل شجاع، ثم بطل، ثم صِمّــة، ثم بُهمة، ثم ذمِر، ثم حِلْش، ثم حلبس، فأهيَس أليس، ثم نَكِل، ثم نهيك، فمِحرب، ثم غشمشم وأيهم (الثعالبي: **فقه اللغة،** ص 106).وعلى العموم فنحن لا نكاد نستعمل إلا لفظين أو ثلاثة منها.

البعلبكي، منير. **المورد**. بيروت: دار العلم للملايين، 1987.

الثعالبي، أبو منصور. **فقه اللغة وأسرار العربية،** بيروت: المكتبة العصرية، 2000.

الحموي، ياقوت. **معجم الأدباء** . القاهرة: مكتبة البابي الحلبي، د.ت.

الزمخشري، أبو القاسم محمود. **الفائق.** القاهرة: دار إحياء الكتب، 1945.

الزوزني، الحسين بن أحمد. **شرح المعلقات السبع** . ط 2. بيروت: دار الجيل، 1972.

السيوطي، جلال الدين. **المزهر في علوم اللغة في علوم اللغة وأنواعها** . جزءان. بيروت: دار الجيل، د. ت.

عاصي، ميشال و يعقوب، إميل. **المعجم المفصل في اللغة والأدب.** جزءان. يروت: دار العلم للملايين، د.ت.

الفيروز أبادي، أبو طاهر محمد. **القاموس المحيط**، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، 1301 هـ. (1884م)

مواسي، فاروق.**من أحشاء البحر،** ط 2**.** مركز اللغة العربية. باقة الغربية: دار الهدى، 2007.

وافي، علي. **فقه اللغة وخصائص العربية**.القاهرة: دار نهضة مصر، د. ت.

תופעות בלשון הערבית בדרכן האחרונה

תקציר

מאמר זה דן בכמה תופעות לשוניות של הערבית הקלאסית , אשר היום כדוגמתם כבר אינם כמעט בשימוש, כגון אצ'דאד (משמעויות מנוגדות של אותו ביטוי), אלמשתרך (ביטוי הומונימי), אלתראדף (שמות או פועלים נרדפים), אלאשתקאק אל כביר (סוג של גזירה) ועוד. כיום ביטויים נדירים כגון אלה כבר אינם בשימוש, כמו גם תופעות לשוניות אחרות שהיו שכיחות בעבר.

במאמר יש דיון בתופעות לשוניות אחדות שהיוו, לפי דעתם של אחדים, מאפיינים של השפה הקלאסית. המאמר בא להראות כי המאפיינים הללו כבר אינם תקפים בלשון המודרנית, בעיקר מן הסיבה שהם תורמים לדו-משמעות של ביטויים, ואילו הלשון המודרנית נוטה להעדיף בהירות ולבחור ביטויים בלתי מעורפלים , כדי שהמסר יהיה ברור.